العرب
الأربعاء 2021/01/27
السنة 43 العدد 11953

لبنانيون يهربون من ظلمة الحجر إلى بياض الثلج

المتنزهون ملتزمون بتدابير الوقاية من وباء كورونا

انتشار وباء كورونا وفرض حجر شامل في ظل ظروف اقتصادية صعبة أصابا اللبنانيين بالقلق والتوتر والخوف على المصير، ما جعلهم يبحثون عن فرصة تنسيهم حالتهم النفسية المزرية، فكان موسم الثلج ملاذا لهم؛ لذلك خرجوا عائلات وأصدقاء بحثا عن فسحة من الفرح.

اليوم لعب وغدا أمر

شبعا (لبنان) - ضاق اللبنانيون ذرعا بإجراءات الحجر الصحي الذي فرضه انتشار وباء كورونا وباتوا المخوزين في بيوتهم يساورهم القلق على مصيرهم. هذا القلق أجبر بعضهم على الهروب إلى الجبال المغطاة بالثلوج كما فعل الشاب الثلاثيني شادي مراد، الذي استقل مع خطيبته سعاد سيارته رباعية الدفع قاصدا المرتفعات الغربية لجبل الشيخ بشرق جنوب لبنان من أجل التمتع بالغطاء الأبيض الذي طال انتظاره هذا العام في لبنان.

لم يكن شادي الوحيد الذي خالف قواعد الإغلاق العام المفروض في لبنان للحد من انتشار الوباء، فالعشرات من العائلات كانت قد خرجت إلى المرتفعات التي لا يقل ارتفاعها عن ألف متر فوق مستوى سطح البحر لتمضية أوقات ممتعة بين الثلوج.

شادي الذي بدا متحصنا من الصقيع بثياب صوفية، أشار لوكالة أنباء "شينخوا" إلى أنه خرق قرار الإقفال وخرج للتمتع بالثلوج بعدما أمضى حوالي أسبوعين بين جدران الحجر المنزلي.

وأضاف أن "اللهو في الثلج فرصة ثمينة ورياضة بدنية ممتعة تحرك الجسم وتقوي الدورة الدموية وترفع المناعة في دفاعها ضد وباء كورونا".

من جهتها قالت خطيبته سعاد، التي كانت منهمكة في التقاط صور سيلفي بين الثلوج المتراكمة، "لقد انتظرنا طويلا هذا الزائر الأبيض الذي يغادرنا بسرعة بسبب تقلبات أحوال الطقس".

وأوضحت "لقد حرصنا في رحلة التمتع بالثلوج على الالتزام بتدابير الوقاية من كورونا من خلال ارتداء الكمامات والتباعد لمسافات طويلة مع العشرات من المتنزهين الذين التقيناهم في هذه المرتفعات".

يذكر أن الكثير من العائلات التي تقطن مختلف مناطق جنوب لبنان قصدت جبل الشيخ الذي يرتفع 2814 مترا فوق سطح البحر، حيث تجاوز ارتفاع الثلوج 40 سنتمترا.

وكانت جرافات تابعة لوزارة الأشغال ولبلدية شبعا، كما أوضح رئيس البلدية محمد صعب، قد عملت على جرف الثلوج وفتح الطرقات التي تربط جبل الشيخ بالقرى المحيطة، مما سهل وصول المتنزهين إلى السفوح الغربية لهذا الجبل المقدس حيث كان السيد المسيح قد تجلى في أعلى قممه.

والكثير من الأسر توزعت على البساط الأبيض؛ فالأطفال يتراشقون بالكرات والبعض راح يصنع تماثيل الثلج في أشكال مختلفة، في حين كان لفنجان الشاي والنرجيلة نوع من الحضور لدى الكثير من الشبان والشابات.

يشار إلى أن الثلوج تساقطت للمرة الأولى هذا العام في المناطق الجبلية اللبنانية التي لا يقل ارتفاعها عن 900 متر فوق عن سطح البحر بعد فترة جفاف استمرت حوالي شهر، وسط خوف المزارعين على محاصيلهم التي تكاد تتلف بسبب تأخر الري.

والعديد من المواطنين اللبنانيين عبروا عن أملهم في أن يكون تساقط الثلوج بشرى خير تساهم في ري حقولهم وتفجر الينابيع وترفع مخزون المياه الجوفية.

وقال المواطن الثلاثيني سلام عامر، من مدينة النبطية، إن "الحجر وحظر التجوال والخوف من كورونا، لم تمنعنا من التوجه إلى هذا الجبل للتمتع بمناظر الثلوج التي غطت المرتفعات".

من جهتها، انشغلت الطالبة الجامعية حنان أبوعليان (22 عاما) بصنع تمثال كبير من الثلج بمساعدة أربع من رفيقاتها، حرصن على تنسيقه وتزيينه بشال أحمر وقبعة صوفية سوداء مع عصا بين يديه حتى بات أشبه بتحفة فنية.

وقالت حنان خلال التقاطها صورا لأطفال التفوا حول تمثالها "لقد ترددنا كثيرا قبل أن نخرج إلى هذا الجبل في ظل الإغلاق العام للحد من انتشار كورونا".

وأضافت "لقد شعرت حقا بصراع داخلي بين التمرد على قرارات الإغلاق والتمتع بالثلوج، ترددت مليا قبل اتخاذ قرار الخروج، لأن الثلوج باتت فرصة نادرة بسبب التغيرات والتقلبات الحادة في الأحوال الجوية".

وبكل حسرة وألم قالت "الأرض المغطاة بالثلوج أشبه بعروس ترتدي ثوبها الأبيض، ليعيدنا هذا المشهد إلى أيام الفرح التي حرمنا منها كورونا".

> عائلات توزعت على البساط الأبيض تجمعهم نرجيلة وكأس شاي، وأطفال يتراشقون بكرات الثلج والبعض يصنع التماثيل

وغير بعيد عن حنان وقف المزارع حامد الأسعد (60 عاما) يراقب منظر الثلوج ناصعة البياض، وقال "تساقط الثلوج يمنحنا أمل أن تكون المواسم الزراعية واعدة".

وتابع "الثلج يؤمّن أيضا الحماية من الحشرات التي تفتك بأشجار التفاح واللوزيات، وبتنا نضمن موسما جيدا يعطي مردودا مقبولا نحن بحاجة ماسة إليه في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي نمر بها".

من جهته أكد قاسم نبعة (54 عاما) أن "كمية الثلوج الكبيرة هذا العام ستنعكس إيجابا على أشجار اللوزيات، خاصة الكرز والتفاح في الصيف القادم".

وأضاف نبعة "البرودة تلائم هذه الأشجار وتعمل على قتل الحشرات مما سينعش حتما المواسم الصيفية التي يعتمد المزارع على ما تنتجه في الريف اللبناني".

وبدت الحرب حامية في أسفل الجبل بين فريقين من الأطفال الذين يتقاذفوا كرات الثلج التي تكون عادة بحجم أيديهم، في جو من البهجة لا تتوفر لهم إلا في مثل هذه الهضاب.

وعلى الرغم من البرد القارس داخل الخيمة كان همّ الطفل السوري حسن زريق (9 سنوات)، النازح من إدلب إلى بلدة شبعا، جمع كمية من الثلوج لصنع تمثال رجل الثلج الذي كان يشاهده في كتب الدراسة.

الرحلة إلى مواقع الثلوج، حسب الناشط الإجتماعي نضال عيسى، فيها الكثير من الترفيه والمتعة والتسلية لكافة أفراد العائلة، حيث "نجد في الرداء الأبيض الراحة النفسية، كما يساهم في تخفيف القلق، إضافة إلى تأثيراته الإيجابية على الصحة بشكل عام، فالحركة في ظل حرارة متدنية (دون الصفر) تجعلك أكثر إبداعاً من أي وقت آخر".

وعلى الرغم مما تخلفه الثلوج من برد ومعاناة للاجئين السوريين، قال جمال شحروري النازح من بيت جن إلى حاصبيا إن "الثلج زائر جميل بالرغم من أن بعض الناس لا يملكون وقودا للتدفئة، خاصة النازحين السوريين، الذين يعانون من أزمة خانقة على مستوى نقص وقود التدفئة والغاز المنزلي وتقنين الكهرباء لساعات طويلة".

فقراء لبنان يخافون من الجوع أكثر من الوباء

طرابلس (لبنان) - رغم تسجيل عدد الإصابات بكورونا قفزة غير مسبوقة وفرض إغلاق مشدد، يواظب عمر قرحاني على فتح محله المتواضع لبيع الخضار في شمال لبنان من أجل تأمين قوت عائلته، كما يقول، مؤكداً أن الفقر يخيفه أكثر بكثير من الوباء.

ويشهد لبنان منذ نحو أسبوعين إغلاقاً عامًا مشدّدا مع حظر تجول على مدار الساعة يعدّ من بين الأكثر صرامة في العالم، لكن الفقر الذي فاقمته أزمة اقتصادية متمادية يدفع كثيرين إلى عدم الالتزام به سعيا إلى الحفاظ على مصدر رزقهم. ويقول قرحاني (38 عاماً) وهو أب لستة أولاد ويقيم في منطقة الزاهرية في طرابلس، بانفعال "لا أخاف من كورونا، إنما تخيفني الحاجة والفقر".

ويضيف "يخيفني أن يمرض أولادي ولا أجد لهم دواء في الصيدليات" التي تعاني منذ أسابيع من انقطاع عدد من الأدوية.

وفي انتظار الزبائن، يتفقد قرحاني صناديق خضار قليلة يعرضها في محله الذي افتتحه قبل أشهر بعدما كان يعمل في محل لبيع الزهور. ويقول "نحتاج يومياً لأكثر من 70 ألف ليرة (8 دولارات وفق سعر صرف في السوق السوداء) لتأمين طعامنا، بينما لا يؤمن عملي نصف هذا المبلغ".

وتتشدّد السلطات في تطبيق الإغلاق العام الذي بدأ في 14 من الشهر الحالي ويستمر حتى الثامن من فبراير. ويستثني الإقفال المرافق الحيوية والصحية والأفران وخدمة التوصيل في محال بيع المواد الغذائية. وسجّل لبنان منذ مطلع العام معدلات إصابة ووفيات قياسية، بلغت معها غالبية مستشفيات البلاد طاقتها الاستيعابية القصوى. وبلغ عدد الإصابات منذ بدء تفشي الفايروس أكثر من 282 ألفا، بينها 2404 وفيات. ويبلغ عدد سكان لبنان قرابة ستة ملايين نسمة.

وتسيّر قوات الأمن دوريات تسطّر يومياً آلاف محاضر الضبط بحق مخالفي الإجراءات، لكن ذلك لا يمنع كثيرين خصوصاً في الأحياء الفقيرة والمناطق الشعبية من الخروج لممارسة أعمالهم خاصة في طرابلس، حيث أن أكثر من نصف السكان يعيشون منذ سنوات عند أو تحت خط الفقر، وفق الأمم المتحدة. ويرجّح أن تكون النسبة ارتفعت على وقع الانهيار الاقتصادي.

ووقعت مساء الاثنين مواجهات في طرابلس بين محتجين على قرار الإغلاق وقوات الأمن، أسفرت وفق الصليب الأحمر عن إصابة أكثر من ثلاثين شخصاً بجروح غالبيتها طفيفة. وأحرق محتجون بعضهم لم يكن يضع حتى كمامة، إطارات في وسط الشوارع، ورشقوا القوى الأمنية بالحجارة، فردّ رجال الأمن باستخدام الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي.

ويشرح محمّد البيروتي (65 عاما) الناشط في لجان تتولى متابعة شؤون الفقراء في طرابلس، أن "معظم الذين لا يلتزمون بقرار الإقفال هم من المياومين، أي أنّهم في اليوم الذي لا يعملون فيه لا يأكلون".

ويحذّر من أنّ "الوضع المعيشي مقبل على انفجار شعبي، وما حدث ليلا ليس إلا مقدمة".

الموت واحد بكورونا أو بالجوع

وجاء تزايد تفشي الوباء ليفاقم تداعيات انهيار اقتصادي في لبنان بدأ منذ أكثر من سنة. وبات أكثر من نصف السكان في لبنان يعيشون تحت خط الفقر وربعهم تقريباً في فقر مدقع، وفق الأمم المتحدة.

وتقدّر وزارة العمل أن المياومين يشكلون نحو 50 في المئة من اليد العاملة اللبنانية، ولا يستفيد هؤلاء من أي مساعدات اجتماعية أو صحية.

وأبدت منظمة "أنقذوا الأطفال" (سايف ذي تشيلدرن) قلقها "العميق" من تداعيات الإغلاق التام على العائلات والأطفال الذين يعانون أساساً من أوضاع اقتصادية هشّة، ما لم يتم دعمهم بشكل فوري.

وتحدثت مديرة المنظمة في لبنان جنيفر مورهاد في بيان في منتصف الشهر الحالي، عن "واقع قاتم للغاية"، مشيرة إلى أن "البقاء على قيد الحياة بات مهمة يومية للملايين من الأطفال وأسرهم" في لبنان.

ويصف النجار إسماعيل أسعد (43 عاماً)، وهو أب لسبعة أولاد عمر أكبرهم 19 عاماً، بدوره الوضع بـ"المأساوي".

ويقول إنه يلازم منزله في قرية عين الذهب في منطقة عكار في أقصى الشمال منذ أسبوعين بسبب الإغلاق، مضيفا "قبل الإقفال كان العمل خفيفا، أما الآن فلم يعد بإمكاننا العمل بالمطلق، ماذا يفعل من لا يقبض راتباً شهرياً؟".

وفي برمانا، المنطقة الجبلية المطلة على بيروت، لم يتلق جورج منذ نحو أسبوعين أي اتصال لطلب خدماته في مجال الكهرباء.

ويقول "أفكر يومياً كيف يمكنني أن أتفادى دفع تكاليف أو فواتير، والأسعار لا ترحم".

ويؤكد جورج أنه لا يعارض قرار الإغلاق للحدّ من تفشي الوباء الذي أنهك القطاع الطبي، لكنه يتساءل "كيف يمكن للدولة أن تأخذ قراراً مماثلاً من دون تقديم أي مساعدة مادية" لدعم الأسر على غرار ما يجري في دول عدة.

> قوات الأمن تسطر يوميا آلاف المحاضر بحق مخالفي الإجراءات، لكن ذلك لا يمنع كثيرين من الخروج لممارسة أعمالهم

وتقدم السلطات، وفق بيانات وزارة الشؤون الاجتماعية، مساعدات مادية بقيمة 400 ألف ليرة (50 دولاراً) شهرياً لنحو 230 ألف أسرة، وهو مبلغ زهيد جدا ولا يكفي لتأمين حاجات أساسية.

وتطال تداعيات الإغلاق المشدد كذلك مئات الآلاف من اللاجئين السوريين الذين يعيشون أساساً ظروفاً صعبة.

ومن بين هؤلاء عبدالعزيز (35 عاماً)، عامل الطلاء الذي يقيم مع زوجته وأطفاله الثلاثة في منطقة الأشرفية في شرق بيروت، ويقول بأسى "لم أقبض ألف ليرة منذ بدء الإغلاق".

ويضيف الشاب الذي نزح من شمال سوريا "هربنا من الرقة عندما دخل داعش مناطقنا ودمّر بيوتنا، يبدو أننا نجونا من الموت هناك وسنموت هنا جوعاً".